المُخْتَصَرُ
فِي عِلْمِ الأَخْلَاقِ

للعَلَّامَة القَاضِي
عَضُدِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الإِيجِي
(٦٨٠-٧٥٦هـ)

اعتنى به
نزار حمّادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

المُخْتَصَرُ فِي عِلْمِ الأَخْلَاقِ

الكتاب: المختصر في علم الأخلاق

المؤلف : الإمامُ عَضُدِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الإِيجِي

المعتني به: نزار حَمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

المُخْتَصَرُ

فِي عِلْمِ الأَخْلَاقِ

للعَلَّامَةِ القَاضِي

عَضُدِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الإِيجِي

(٦٨٠ - ٧٥٦هـ)

اعتنى به

نزار حمَّادي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نَوَالِهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

وَبَعْدُ، فَهَذَا مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ الأَخْلَاقِ، وَرَتَّبْتُهُ عَلَى أَرْبَعِ مَقَالَاتٍ.

المَقَالَةُ الأُولَى

فِي النَّظَرِيِّ مِنْهُ

الخُلُقُ: مَلَكَةٌ تَصْدُرُ عَنْهَا الأَفْعَالُ النَّفْسَانِيَّةُ بِسُهُولَةٍ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ.

وَيُمْكِنُ تَغْيِيرُهَا؛ لِلتَّجْرِبَةِ، وَلِوُرُودِ الشَّرْعِ بِهِ، وَاتِّفَاقِ العُقَلَاءِ. وَتَخَلُّفُ الاسْتِعْدَادِ فِيهِ بِحَسَبِ الأَمْزِجَةِ.

۞ وَقُوَى النَّفْسِ ثَلَاثٌ:

- **النُّطْقُ**. فَاعْتِدَالُهَا: الحِكْمَةُ. وَإِفْرَاطُهَا: الجُرْبُزَةُ. وَتَفْرِيطُهَا: الغَبَاوَةُ.

ـ **وَالغَضَبُ**. فَاعْتِدَالُـهَا: الشَّجَاعَةُ. وَإِفْرَاطُهَا: التَّهَوُّرُ، وَتَفْرِيطُهَا: الجُبْنُ.

ـ **وَالشَّهْوَةُ**. فَاعْتِدَالُـهَا: العِفَّةُ. وَإِفْرَاطُهَا: الفُجُورُ. وَتَفْرِيطُهَا: الخُمُودُ.

وَالفَضَائِلُ هِيَ الأَوْسَاطُ، فَهِيَ ثَلَاثٌ، وَالأَطْرَافُ رَذَائِلُ، فَهِيَ سِتَّةٌ بِحَسَبِ الكَمِّيَّةِ.

وَمِنْهَا رَدَاءَةُ الكَيْفِيَّةِ، أَمَّا فِي الحِكْمَةِ فكَمَنْ يَتَعَلَّمُهَا لِـمُجَارَاةِ العُلَمَاءِ وَمُـمَارَاةِ السُّفَهَاءِ.

وَأَمَّا فِي الشَّجَاعَةِ فكَمَنْ يُمَارِسُهَا لِلصِّيتِ وَالغَنِيمَةِ.

وَأَمَّا فِي العِفَّةِ فكَمَنْ تَرَكَ اللَّذَّةَ وَيَقْصِدُ اعْتِيَاضَ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الآخِرَةِ، أَوِ الجَاهِ فِي الدُّنْيَا.

وَإِنَّمَا هِيَ فَضَائِلُ إِذَا لَمْ يَشُبْهَا غَرَضٌ وَصَدَرَتْ بِلَا رَوِيَّةٍ لِأَنَّهَا خَيْرٌ وَكَمَالٌ.

ثُمَّ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ شُعَبٌ.

۞ **فَلِلْحِكْمَةِ سَبْعَةٌ:**

ـ **صَفَاءُ الذِّهْنِ**: اسْتِعْدَادُ النَّفْسِ لِاسْتِخْرَاجِ المَطْلُوبِ بِلَا تَشْوِيشٍ.

ـ **جَوْدَةُ الفَهْمِ**: صِحَّةُ الانْتِقَالِ مِنَ المَلْزُومِ إِلَى اللَّازِمِ.

ـ **الذَّكَاءُ**: سُرْعَةُ اقْتِدَاحِ النَّتَائِجِ.

ـ **حُسْنُ التَّصَوُّرِ**: البَحْثُ عَنِ الأَشْيَاءِ بِقَدْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ.

ـ **سُهُولَةُ التَّعَلُّمِ**: قُوَّةُ النَّفْسِ عَلَى دَرْكِ المَطْلُوبِ بِلَا زِيَادَةِ سَعْيٍ.

ـ **الحِفْظُ**: ضَبْطُ الصُّوَرِ المُدْرَكَةِ.

ـ **الذُّكْرُ**: اسْتِحْضَارُ المَحْفُوظَاتِ.

۞ **وَلِلشَّجَاعَةِ إِحْدَى عَشَرَ:**

ـ **كِبَرُ النَّفْسِ**: اسْتِحْقَارُ الفَقْرِ وَاليَسَارِ وَالكِبْرِ وَالصَّغَارِ.

ـ **عِظَمُ الهِمَّةِ**: عَدَمُ المُبَالَاةِ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَشَقَاوَتِهَا.

ـ **الصَّبْرُ**: قُوَّةُ مُقَاوَمَةِ الآلَامِ وَالأَهْوَالِ.

ـ **النَّجْدَةُ**: عَدَمُ الجزَعِ عِنْدَ المَخَاوِفِ.

ـ **الحِلْمُ**: الطُّمَأْنِينَةُ عِنْدَ سَوْرَةِ الغَضَبِ.

ـ **السُّكُونُ**: التَّأَنِّي فِي الخُصُومَاتِ وَالحُرُوبِ.

ـ **التَّوَاضُعُ**: اسْتِعْظَامُ ذَوِي الفَضَائِلِ وَمَنْ دُونَهُ فِي المَالِ وَالجَاهِ.

ـ **الشَّهَامَةُ**: الحِرْصُ عَلَى مَا يُوجِبُ الذِّكْرَ الجَمِيلَ مِنَ العَظَائِمِ.

ـ **الاحْتِمَالُ**: إِتْعَابُ النَّفْسِ فِي الحَسَنَاتِ.

ـ **الحَمِيَّةُ**: المُحَافَظَةُ عَلَى الحُرَمِ وَالدِّينِ مِنَ التُّهْمَةِ.

ـ **الرِّقَّةُ**: التَّأَذِّي عَنْ أَذًى يَلْحَقُ الغَيْرَ.

۞ وَلِلْعِفَّةِ إِحْدَى عَشَرَ:

ـ **الحَيَاءُ**: انْحِصَارُ النَّفْسِ خَوْفَ ارْتِكَابِ القَبَائِحِ.

ـ **الصَّبْرُ**: حَبْسُ النَّفْسِ عَنْ مُتَابَعَةِ الهَوَى.

ـ **الدَّعَةُ**: السُّكُونُ عِنْدَ هَيَجَانِ الشَّهْوَةِ.

ـ **النَّزَاهَةُ**: اكْتِسَابُ المَالِ مِنْ غَيْرِ مَهَانَةٍ وَلَا ظُلْمٍ، وَإِنْفَاقُهُ فِي المَصَارِفِ الحَمِيدَةِ.

ـ **القَنَاعَةُ**: الاقْتِصَارُ عَلَى الكَفَافِ.

ـ **الوَقَارُ**: التَّأَنِّي فِي التَّوَجُّهِ نَحْوَ المَطَالِبِ.

ـ **الرِّفْقُ**: حُسْنُ الانْقِيَادِ لِمَا يُؤَدِّي إِلَى الأَعْمَالِ الجَمِيلةِ.

ـ **حُسْنُ السَّمْتِ**: مَحَبَّةُ مَا يُكَمِّلُ النَّفْسَ.

ـ **الوَرَعُ**: مُلَازَمَةُ الأَعْمَالِ الجَمِيلَةِ.

ـ **الانْتِظَامُ**: تَقْدِيرُ الأُمُورِ وَتَرْتِيبُهَا عَلَى المَصَالِحِ.

ـ **السَّخَاءُ**: إِعْطَاءُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَنْبَغِي، وَهَذَا تَحْتَهُ سِتَّةُ أَنْوَاعٍ:

- **الكَرَمُ**: الإِعْطَاءُ بِالسُّهُولَةِ وَطِيبِ النَّفْسِ.
- **الإِيثَارُ**: أَنْ يَكُونَ مَعَ الكَفِّ عَنْ حَاجَاتِهِ.
- **النُّبْلُ**: أَنْ يَكُونَ مَعَ السُّرُورِ.
- **المُوَاسَاةُ**: أَنْ يَكُونَ مَعَ مُشَارَكَةِ الأَصْدِقَاءِ.

- **السَّمَاحَةُ**: بَذْلُ مَا لَا يَجِبُ تَفَضُّلًا.
- **المُسَامَحَةُ**: تَرْكُ مَا لَا يَجِبُ تَنَزُّهًا.

وَالعَدَالَةُ اسْمُ مَا يَجْمَعُ سَائِرَ الفَضَائِلِ، وَلَهَا شُعَبٌ:

ـ **الصَّدَاقَةُ**: وَهِيَ مَحَبَّةٌ صَادِقَةٌ بِحَيْثُ لَا يَشُوبُهَا غَرَضٌ، وَيُؤْثِرُهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الخَيْرَاتِ.

ـ **الأُلْفَةُ**: اتِّفَاقُ الآرَاءِ فِي المُعَاوَنَةِ عَلَى تَدْبِيرِ المَعَاشِ.

ـ **الوَفَاءُ**: مُلَازَمَةُ طَرِيقِ المُوَاسَاةِ، وَمُحَافَظَةُ عُهُودِ الخُلَطَاءِ.

ـ **التَّوَدُّدُ**: طَلَبُ مَوَدَّةِ الأَكْفَاءِ بِمَا يُوجِبُ ذَلِكَ.

ـ **المُكَافَأَةُ**: مُقَابَلَةُ الإِحْسَانِ بِمِثْلِهِ أَوْ زِيَادَةٍ.

ـ **حُسْنُ الشِّرْكَةِ**: رِعَايَةُ العَدْلِ فِي مُعَامَلَاتِ.

ـ **حُسْنُ القَضَاءِ**: تَرْكُ النَّدَمِ وَالمَنِّ فِي المُجَازَاةِ.

ـ **صِلَةُ الرَّحِمِ**: مُشَارَكَةُ ذَوِي القَرَابَةِ فِي الخَيْرَاتِ.

ـ **الشَّفَقَةُ**: صَرْفُ الهِمَّةِ إِلَى إِزَالَةِ المَكْرُوهِ عَنِ النَّاسِ.

ـ **الإِصْلَاحُ**: التَّوَسُّطُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الخُصُومَاتِ بِمَا يَدْفَعُهَا.

ـ **التَّوَكُّلُ**: تَرْكُ السَّعْيِ فِيمَا لَا يَسَعُهُ قُدْرَةُ البَشَرِ.

ـ **التَّسْلِيمُ**: الانْقِيَادُ لِأَمْرِ اللهِ وَتَرْكُ الاعْتِرَاضِ فِيمَا لَا يُلَائِمُ.

ـ **الرِّضَا**: طِيبُ النَّفْسِ فِيمَا يُصِيبُهُ وَفِيمَا يَفُوتُهُ مَعَ عَدَمِ التَّغَيُّرِ.

ـ **العِبَادَةُ**: تَعْظِيمُ اللهِ وَأَهْلِهِ، وَامْتِثَالُ أَوَامِرِهِ.

المَقَالَةُ الثَّانِيَةُ

فِي حِفْظِ الأَخْلَاقِ وَاكْتِسَابِهَا

مَنْ حَصَلَ لَهُ فَضِيلَةٌ بِكَسْبٍ، أَوْ طَبْعٍ، فَلْيَسْتَحْفِظْهَا[(١)]:

[١] ـ بِمُلَازَمَةِ أَهْلِهَا مِنَ الأَخْيَارِ، وَعَدَمِ صُحْبَةِ الأَشْرَارِ. وَإِيَّاهُ وَالِاسْتِرْسَالَ فِي المَلَاهِي، وَالمِزَاحَ[(٢)]، وَالمِرَاءَ.

[٢] ـ وَلْيَرُضْ نَفْسَهُ بِوَظَائِفَ عِلْمِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، فَلْيَذْكُرْ جَلَالَتَهُ[(٣)] وَدَوَامَهُ وَصَفَاءَهُ، وَحَقَارَةَ الدُّنْيَا وَزَوَالَهَا وَتَكَدُّرَهَا.

---

(١) بأربعة أمور.

(٢) المزاحُ بقدر الاعتدال منشأ الأنس والألفةِ ودوامُ المحبَّةِ، وهو كسائر الأخلاق له إفراطٌ وتفريطٌ، فالإفراطُ كالهجوِ والتسخر والخلاعة يذهب البهاء ويجرّئ السفهاء. والتفريطُ كالعبوسة والقبضِ يقبض النفسَ ويوحش المخالطةَ، والمرتبة الوسطى المحمودةُ هي الهشاشة والبشاشة والطلاقة وحسن المعاشرة. (شرح الكازروني، ص٨٥)

(٣) أي: جلالةَ العلمِ في ذاته وفي أهله. (شرح الكازروني، ص٨٧)

[٣] ـ وَيَخْتَارُ مِنْ أَصْدِقَاءِ الصِّدْقِ مَنْ يُنَبِّهُهُ عَلَى عَيْبِهِ[٤]، وَيَتَفَحَّصُ قَوْلَ أَعْدَائِهِ وَيَعْلَمُ مِنْهُ عُيُوبَهُ فَيَتْرُكُهَا، وَيَنْظُرُ فِي مَعَايِبِ النَّاسِ فَيَجْتَنِبُهَا.

[٤] ـ وَإِنْ رَأَى فُتُورًا طَوَّعَهَا بِالرِّيَاضَاتِ الصَّعْبَةِ.

وَمَنْ حَصَلَ لَهُ مَرَضٌ فَلْيُعَالِجْهُ:

[١] ـ بِٱرْتِكَابِ الفَضِيلَةِ المُقَابِلَةِ[٥].

[٢] ـ ثُمَّ التَّعْنِيفِ.

---

(٤) فإِنْ أَخْبَرَهُ بعَيْبٍ أَظْهَرَ المَسَرَّةَ، ويَعُدُّهُ من الإحسانِ، كما قال أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي». ويشتغل بإزالته قبل الرسوخ. (شرح الكازروني، ص٨٧)

(٥) كالسَّخاءِ المُقابِلِ للبُخْل، فيُعَوّدُ النَّفْسَ إياهُ بارتكابهِ إلى أن يزول مقابلهُ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤]. (شرح طاشكبرى، ص١١٧)

[٣] ـ ثُمَّ الرَّذِيلَةِ المُقَابِلَةِ[٦]. فَلْيَسْتَحْفِظْ حَتَّى لَا يُتَجَاوَزَ إِلَى الطَّرَفِ الآخَرِ.

[٤] ـ ثُمَّ الرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةِ[٧].

وَلْنَذْكُرْ أَمْرَاضًا جُزْئِيَّةً يَكْثُرُ وُقُوعُهَا، مَعَ عِلَاجِهَا:

ـ **الحَيْرَةُ**: سَبَبُهَا تَعَارُضُ الأَدِلَّةِ. وَعِلَاجُهَا مُمَارَسَةُ القَوَانِينِ العَقْلِيَّةِ.

(٦) أي المقابلة للرذيلة الراسِخةِ في النفسِ إذا لم يُفِد ارتكابُ الفضيلةِ المقابلةِ ولا التعنيفُ على الرَّذِيلةِ الرّاسخة، مثلا إذا أُريدَ إزالةُ البخلِ ولم يتيسَّرْ ذلك بٱرتكابِ السخاءِ وتعْيِيرِ النفسِ على البُخْل ينْبَغِي أن تُكلَّفَ النَّفْسُ الإسرافَ حتى ينْمَحِيَ البُخْلُ وينقطعَ عِرْقهُ بٱعتياد النَّفْسِ البَذْلَ ليكون السَّخاءُ سَهْلًا على النَّفْسِ، ولكن ينبغي أن يكون ارتكابُ الرذيلةِ قَدْرَ ما يُزِيل الرذيلة الراسخة لئلا تصير الرذيلة الأخرى ملَكَةً راسخة فتَفِرَّ مِنْ وَرْطَة وتَقَعُ في أخرى. (شرح طاشكبرى، ص١١٧)

(٧) كٱرتكاب النذورِ والوفاء عليها، وارتكاب العهودِ الصَّعبة. (شرح طاشكبرى، ص١١٩)

- **الجَهْلُ البَسِيطُ**: وَأَصْحَابُهُ كَالأَنْعَامِ؛ لِفَقْدِهِمْ مَا بِهِ يَمْتَازُ الإِنْسَانُ عَنْهَا، بَلْ هُمْ أَضَلُّ. وَيُعَالَجُ بِمُلَازَمَةِ العُلَمَاءِ لِيَظْهَرَ لَهُ نُقْصَانُهُ عِنْدَ مُحَاوَرَاتِهِمْ.

- **الجَهْلُ المُرَكَّبُ**: إِنْ قَبِلَ العِلَاجَ فَبِمُلَازَمَةِ الرِّيَاضِيَّاتِ[٨] لِيَطْعَمَ لَذَّةَ اليَقِينِ، ثُمَّ التَّنْبِيهِ عَلَى مُقَدِّمَةٍ مُقَدِّمَةٍ بِالتَّدْرِيجِ.

- **الغَضَبُ** بِنَفْيِ أَسْبَابِهِ وَهِيَ:

[١] - العُجْبُ.

[٢] - وَالتَّكَبُّرُ.

وَهُمَا بَدِيعٌ مِمَّنْ جَرَى مَجْرَى البَوْلِ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ مَيِّتٌ غَدًا، وَيَحْتَاجُ إِلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ.

---

(٨) لأن مقدّماتها يقينيةً لا يشوبها الوهمُ، فلا يقعُ فيها سوءُ الفهمِ. (شرح طاشكبرى، ص١٢٥)

[٣] ـ وَالْافْتِخَارُ[٩] أَبْعَدُ مِنْهُمَا[١٠] لِأَنَّهُ بِفَضِيلَةِ الغَيْرِ، وَيُعْرَفُ قِلَّةُ ٱعْتِبَارِهِ بِالسَّفَرِ إِلَى حَيْثُ لَا يُعْرَفُ.

[٤] ـ وَالمِرَاءُ.

[٥] ـ وَاللَّجَاجُ.

وَهُمَا قَاطِعَانِ لِلنِّظَامِ.

[٦] ـ وَالمِزَاحُ.

[٧] ـ وَالاسْتِهْزَاءُ.

وَهُمَا مَعَ قِلَّةِ الفَائِدَةِ مَسْلَبَةٌ لِلْبَهَاءِ وَمَجْلَبَةٌ لِلْأَعْدَاءِ وَقَاطِعَةٌ لِلنِّظَامِ، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ ٱلْٱقْتِصَادِ فِي المِزَاحِ فَلْيَتْرُكْهُ.

[٨] ـ وَالغَدْرُ.

[٩] ـ وَالضَّيْمُ.

---

(٩) هو المباهاة بما هو خارجٌ عن ذاته مما هو في معرض الزوالِ والآفات كالمال والنسب والجاهِ. (شرح طاشكبرى، ص١٢٩)

(١٠) أي: مِن العُجْبِ وَالكِبْرِ.

وَهُمَا لِمَتَاعِ الدُّنْيَا، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَلْيَفْرِضْهُ مِنْ غَيْرِهِ مَعَهُ لِيَعْرِفَ قُبْحَهُ.

[١٠] ـ وَطَلَبُ مَا يُتَنَافَسُ فِيهِ مِنَ الجَوَاهِرِ. وَمَعَ حَقَارَتِهَا تُكَثِّرُ العَدُوَّ وَلَا تُغْنِي عِنْدَ الحَاجَةِ شَيْئًا، وَإِنْ بَقِيَتْ لَكَ لَمْ تَبْقَ أَنْتَ لَهَا.

وَأَمَّا الغَضَبُ بَعْدَ الٱهْتِيَاجِ فَصَعْبُ العِلَاجِ لِسَتْرِهِ العَقْلَ بِدُخَانِهِ المُظْلِمِ، وَكُلُّ مَا قَرُبَ مِنْهُ يَكُونُ كَالوَقُودِ لَهُ، وَرُبَّمَا يَنْفَعُ تَغْيِيرُ الهَيْئَةِ، وَشُرْبُ المَاءِ البَارِدِ، وَالنَّوْمُ.

وَقَدْ يَكُونُ(١١) مِنَ الشَّهْوَةِ إِذَا مُنِعَتْ.

وَرُبَّمَا رَدَأَتْ كَيْفِيَّتُهُ حَتَّى يَشْتُمَ البَهَائِمَ وَالجَمَادَاتِ.

---

(١١) أي: الغضبُ.

وَمُشَاهَدَةُ هَذِهِ الأَفْعَالِ وَٱسْتِهْجَانُهَا مِنْ غَيْرِهِ يُنَبِّهُ عَلَى قُبْحِهَا(١٢).

ـ **الجُبْنُ**(١٣). يَتْبَعُهُ:

[١] ـ الذُّلُّ.

[٢] ـ وَالٱخْتِلَالُ.

[٣] ـ وَانْتِهَاكُ الحُرْمَةِ.

وَعِلَاجُهُ الخَوْضُ فِي المَخَاوِفِ، وَالإِقْدَامُ عَلَى المَعَاطِبِ، وَذِكْرُ وُجُوبِ المَوْتِ.

ـ **وَالخَوْفُ**(١٤) بِتَرْكِ سَبَبِهِ إِنْ أَمْكَنَ، وَإِلَّا فَبِالتَّوْطِينِ.

---

(١٢) طاشكبري: ثم إن للغضب لواحقَ وأعراضًا كثيرةً لم يذكرها لظهورها، لكن نحن نعدُّ أصنافها، وهي سبعةٌ: الندامةُ، والكآبَةُ، وشماتةُ الأعداءِ، ووقوعهُ في معرضِ الاستهزاء، وأداءُ فعله إلى الأمراض والأدواءِ ومقت الأحبّاء وشماتة الأعداء. (شرح الأخلاق العضدية، ص ١٤٣)

(١٣) هُو الإحجامُ عما يجب الإقدامُ عليهِ. (شرح طاشكبري، ص ١٤٥)

(١٤) هُو توجُّعُ النَّفْسِ مِنْ توقُّعِ مَكْرُوهٍ يُنْتَظَرُ وقوعُهُ. (شرح طاشكبري، ص ١٤٥)

ـ **الحِرْصُ**: بِالتَّفَكُّرِ فِي مُشَارَكَةِ الحَيَوَانَاتِ وَقِلَّةِ لَذَّتِهَا وَقِصَرِ مُدَّتِهَا، وَخَسَاسَةِ المَطَالِبِ، وَاسْتِخْرَاجِ حُكْمِ القُوَّةِ الشَّهَوِيَّةِ، وَإِجَالَةِ الرَّأْيِ عِنْدَ تَسْوِيلَاتِ النَّفْسِ، وَالاشْتِغَالِ بِالعِلْمِيَّاتِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُلْهِي عَنْهَا، وَالاجْتِنَابِ مِمَّا يُغْرِي بِهَا.

ـ **البَطَالَةُ**: وَمُقْتَضَاهَا هَلَاكُ النَّفْسِ وَالبَدَنِ، وَهِيَ تَشَبُّهٌ بِالجَمَادِ، وَإِبْطَالُ الحِكْمَةِ، فَلْيُجَانِسْ أَرْبَابَ الجِدِّ، وَلْيَتَأَمَّلْ آثَارَهُمْ، وَيَسْمَعْ حِكَايَاتِهِمْ، وَمَذَمَّةَ أَهْلِ الكَسَلِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِمْ، وَمَا تَجُرُّهُ البَطَالَةُ مِنَ الاشْتِغَالِ بِمَا لَا يَعْنِي.

ـ **الحُزْنُ**، مَنْشَأُهُ تَوَقُّعُ حُصُولِ جَمِيعِ المَطَالِبِ وَبَقَائِهَا، وَهُوَ جَهْلٌ، فَلْيَتَوَجَّهْ إِلَى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ.

ـ **الحَسَدُ**: مَنْشَؤُهُ الحِرْصُ، وَالجَهْلُ بِأَنَّ اسْتِيعَابَ جَمِيعِ الخَيْرَاتِ مُمْتَنِعٌ. وَأَثَرُهُ الحُزْنُ الدَّائِمُ، وَأَشَرُّهُ مَا بَيْنَ العُلَمَاءِ، إِذْ حَظٌّ وَاحِدٌ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى حِرْمَانِ الآخَرِ.

ـ **الغِبْطَةُ**: طَلَبُ حُصُولِ الخَيْرِ لَهُ مَعَ عَدَمِ الزَّوَالِ عَنِ الغَيْرِ، وَهُوَ مَمْدُوحٌ فِي الأُخْرَوِيَّةِ مَحْمُودٌ، وَفِي الدُّنْيَوِيَّةِ حِرْصٌ.

ـ **الطَّمَعُ**: ذُلٌّ يَنْشَأُ مِنَ الحِرْصِ وَالبَطَالَةِ وَالجَهْلِ بِحِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الحَاجَةِ إِلَى التَّعَاوُنِ.

ـ **الحِقْدُ**: يَزُولُ بِتَصَوُّرِ الأُخُوَّةِ الحَقِيقِيَّةِ.

ـ **الكَذِبُ**: وَهُوَ شَرٌّ مِنْ عَدَمِ النُّطْقِ لِإِفَادَتِهِ اعْتِقَادًا غَيْرَ حَقٍّ، وَرُبَّمَا جَلَبَ مَضَارَّ، فَلْيَتَذَكَّرْ تَبِعَاتِهِ مِنَ المَذَمَّةِ، وَعَدَمِ الاعْتِمَادِ، وَالاسْتِخْفَافِ. وَمِنْهُ وَمِنَ العُجْبِ يَنْشَأُ الصَّلَفُ، وَمِنْهُ النِّفَاقُ.

المَقَالَةُ الثَّالِثَةُ

فِي سِيَاسَةِ المَنْزِلِ

وَالنَّظَرُ فِي أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:

⊙ **الأَوَّلُ: المَالُ.**

وَالنَّظَرُ فِي الدَّخْلِ، وَالحِفْظِ، وَالخَرْجِ.

أَمَّا الدَّخْلُ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِتَدْبِيرِ التِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ أَدْوَمُ وَأَقَلُّ آفَةً. وَيَجِبُ فِيهِ مُرَاعَاةُ العَدْلِ وَالمُرُوءَةِ.

وَأَمَّا الحِفْظُ فَيَكُونُ الخَرْجُ أَقَلَّ مِنَ الدَّخْلِ بِلَا تَقْتِيرٍ، وَبِالاسْتِثْمَارِ.

وَالمُتَمَوِّلُ يَقْسِمُ أَمْوَالَهُ بَيْنَ نَقْدٍ وَمَتَاعٍ وَعَقَارٍ لِلْاِحْتِيَاطِ.

وَأَمَّا الخَرْجُ فَمَا كَانَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلْيُجْتَنَبْ فِيهِ الكَرَاهَةُ وَالمَنُّ وَالأَذَى وَالرِّيَاءُ، وَلْيَخُصَّ مَنْ يَكْتُمُ فَقْرَهُ، وَمَا كَانَ

فِي مُرُوءَةٍ فَالتَّعْجِيلُ، وَالسِّرُّ، وَالتَّحْقِيرُ، وَالمُوَاصَلَةُ وَاخْتِيَارُ المَصْرَفِ.

وَمَا كَانَ لِلضَّرُورَةِ مِنْ دَفْعِ سَفِيهٍ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ فَالاقْتِصَارُ عَلَى الضَّرُورَةِ.

وَأَمَّا مَا كَانَ لِلْحَاجَةِ فَالاقْتِصَادُ وَالمَيْلِ إِلَى السَّرَفِ.

⊙ الثَّانِي: الزَّوْجَانِ.

فَلْيَطْلُبْ بِالتَّأَهُّلِ النَّسْلَ، وَنِظَامَ المَنْزِلِ، لَا مُجَرَّدُ الشَّهْوَةِ، وَالعَقْلُ وَالعِفَّةُ وَالحَيَاءُ لَابُدَّ مِنْهَا. وَإِنْ زَادَ النَّسَبُ وَالجَمَالُ وَالمَالُ فَأَوْلَى. وَأَمَّا الجَمَالُ المُفْرِطُ فَكَلَّا؛ لِكَثْرَةِ طُلَّابِهِنَّ وَضَعْفِ عُقُولِهِنَّ، وَكَذَا مُجَرَّدُ المَالِ.

وَيَجِبُ إِيقَاعُ الهَيْبَةِ فِي نَفْسِهَا بِإِظْهَارِ الفَضَائِلِ، وَسَتْرِ العُيُوبِ، وَقِلَّةِ الانْبِسَاطِ، وَتَرْبِيَتُهَا بِمَا يُنَاسِبُ، وَمُشَاوَرَتُهَا فِي الجُزْئِيَّاتِ، وَتَحْكِيمُهَا فِي المَنْزِلِ، وَإِكْرَامُ أَقَارِبِهَا، وَدَفْعُ الغَيْرَةِ عَنْهَا، وَشَغْلُ خَاطِرِهَا بِأُمُورِ المَنْزِلِ.

وَلْيَجْتَنِبْ فَرْطَ مَحَبَّتِهَا، وَإِنِ ابْتُلِيَ بِهِ فَلْيَسْتُرْهُ، وَلَا يُطْلِعْهَا عَلَى أَسْرَارِهِ، وَلَا يُشَاوِرْهَا فِي الكُلِّيَّاتِ، وَيَسْتُرُ عَنْهَا مِقْدَارَ مَالِهِ، وَيُجَنِّبُهَا عَنِ المَلَاهِي وَمُجَالَسَةِ العَجَائِزِ.

وَعَلَى النِّسَاءِ العِفَّةُ، وَإِظْهَارُ الكِفَايَةِ، وَالخَشْيَةُ، وَحُسْنُ التَبَعُّلِ، وَقِلَّةُ العِتَابِ، وَمَنْ أَحَسَّ بِفَسَادٍ فَلْيَتْرُكْ أَلْبَتَّةَ.

⊙ الثَّالِثُ: الخَدَمُ.

وَهُمْ كَالأَعْضَاءِ لِلْمَنْزِلِ، فَلْيَنْظُرْ فِي حَالِ الكُلِّ وَإِصْلَاحِهَا، ثُمَّ فِي حَالِ كُلِّ وَاحِدٍ، وَلْيُهَيِّئْ مَعَايِشَهُمْ، وَيَتَعَرَّفْ أَحْوَالَهُمْ، وَلَا يُخْلِيهِمْ مِنْ لُطْفٍ بِلَا ضَعْفٍ، وَعُنْفٍ بِلَا ظُلْمٍ.

وَيُعَيِّنُ لِكُلٍّ شُغْلًا، وَلَا يُكَلِّفُهُمْ بِفَضْلِ مَشَقَّةٍ، وَالعَبْدُ أَوْلَى.

⊙ الرَّابِعُ: الوَلَدُ.

وَلْيُحْسِنْ تَسْمِيَتَهُ، ثُمَّ تُرْضِعُهُ مُعْتَدِلَةُ المِزَاجِ حَسَنَةُ الأَخْلَاقِ، وَيَحْفَظُ أَخْلَاقَهُ، وَيُدَاوِيهِ بِمَا مَرَّ.

وَلْيَكُنْ مُخَالِطُوهُ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، وَلْيَشْغَلْهُ بِحِرْفَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ يَسْتَعِدُّ لَهَا، وَلْيُأْمَرْ بِتَكْمِيلِهَا وَالاكْتِسَابِ بِهَا.

وَأَمَّا الوَلَدُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ وَالِدَيْهِ مُوجِدَاهُ وَرَبَّاهُ القَرِيبَانِ، بَلِ احْتِيَاجُهُمَا يُوجِبُ زِيَادَةَ العِنَايَةِ بِهِمَا، فَيَبْذُلُ فِي الرِّضَا وَالمَحَبَّةِ وَالطَّاعَةِ وَالإِحْسَانِ غَايَةَ الإِمْكَانِ.

وَالمُعَلِّمَ رَبُّهُ المُكَمِّلُ الَّذِي أَفَاضَ عَلَيْهِ الصُّورَةَ الإِنْسَانِيَّةَ وَالحَيَاةَ الأَبَدِيَّةِ.

المَقَالَةُ الرَّابِعَةُ

فِي تَدْبِيرِ المُدُنِ

الحَاجَةُ إِلَى التَّعَاوُنِ أَوْجَبَتِ التَّمَدُّنَ، وَخَيْرُهَا مَا كَانَ عَنْ مَحَبَّةٍ، وَهِيَ إِمَّا لِلْخَيْرِ أَوْ لِلنَّفْعِ أَوْ لِلَّذَّةِ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ يَتَسَاوَى الطَّرَفَانِ وَقَدْ يَخْتَلِفَانِ، وَدَوَامُهَا بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَأَرْكَانُهَا: مَالِكٌ، وَمَمْلُوكٌ، وَأَمْثَالٌ.

أَمَّا المَالِكُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَصِيلًا، عَالِي الهِمَّةِ، مَتِينَ الرَّأْيِ، ثَابِتَ العَزْمِ، صَبُورًا مُوسِرًا ذَا أَعْوَانٍ، وَلَا يُظَفِّرَ إِلَّا طَالِبَ دَيْنٍ أَوْ ثَأْرٍ.

وَعَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

- **أَحَدُهَا:** تَعْدِيلُ أَرْبَابِ العِلْمِ، وَالسَّيْفِ، وَالمُعَامَلَةِ، وَالمُزَارَعَةِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدَهَا مِنَ الغَلَبَةِ عَلَى البَاقِي.

ـ **الثَّانِي**: تَعْظِيمُ الأَخْيَارِ وَتَقْوِيَتُهُمْ، وَمَنْعُ الأَشْرَارِ وَتَأْدِيبُهُمْ بِالزَّجْرِ، ثُمَّ الحَبْسِ، ثُمَّ قَطْعِ آلَةِ الشَّرِّ. وَأَمَّا القَتْلُ فَلَا، إِلَّا مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ.

ـ **الثَّالِثُ**: التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالكَرَامَاتِ، وَيَتَيَسَّرُ ذَلِكَ بِالْتِزَامِ الشَّرْعِ، وَسُهُولَةِ الحُجَّابِ، وَحِفْظُ الثُّغُورِ، وَأَمْنُ الطَّرِيقِ، وَمُدَاوَمَةُ الفِكْرِ، وَتَرْكُ اللَّذَّاتِ، وَمُشَاوَرَةِ أُولِي العَقْلِ وَالنُّهَى.

وَأَمَّا المَمْلُوكُ فَعَلَيْهِ غَايَةُ التَّعْظِيمِ، وَالامْتِثَالُ، وَالمُلَازَمَةُ بِلَا إِمْلَالٍ، وَالتَّزْيِينُ وَالمَدْحُ لَهُ، إِلَّا ذَا المَنْزِلَةِ فِي الخَلْوَةِ، وَالرِّفْقُ فِي تَغْيِيرِ رَأْيِهِ، وَالكِتْمَانُ لِأَسْرَارِهِ، وَاجْتِنَابُ أَرْبَابِ التُّهْمَةِ وَالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ، وَالإِيثَارُ لَهُ بِكُلِّ حَظٍّ، وَالمُوَافَقَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَرْكُ الحِرْصِ.

وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ لَا مِنْهُ، وَلْيُظْهِرْ أَنَّ مَالَهُ وَدَمَهُ مَبْذُولَانِ، وَلْيَجْعَلْهُمَا فِي زِينَتِهِ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ.

وَلْيَتَحَرَّزْ مِنْهُ عِنْدَ غَضَبِهِ، وَلَا يَشْتَكِي مِنْهُ وَلَا فِي ضَمِيرِهِ، وَلْيَتَحَبَّبْ إِلَيْهِ بِتَوَاصُلِ الخِدْمَةِ، وَإِنْ جَعَلَهُ أَخًا جَعَلَهُ رَبًّا.

وَلْيَتَوَقَّ عَنْ خُصُومِهِ بِالاسْتِقَامَةِ، وَلَا يَضْطَرِبْ بِمَا يُقَالُ فِيهِ، وَلَا يَدْخُلْ فِيمَا يَسْتُرُهُ عَنْهُ، وَلَا يُسَارَّ بِحَضْرَتِهِ، وَلَا يَطْلُبِ التَّقَدُّمَ عَلَى الأَقْدَمِينَ.

وَأَمَّا الأَمْثَالُ فَثَلَاثَةٌ:

ـ **الأَصْدِقَاءُ:** فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيُدَارِيهِمْ، وَيُهَادِيهِمْ، وَيَهَشُّ مَعَهُمْ، وَيَتَعَهَّدُ مُتَعَلِّقِيهِمْ وَيُعَاوِنُهُمْ وَيُكَافِيهُمْ بِالخَيْرِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيُقِلُّ عِتَابَهُمْ إِلَّا إِذَا تَيَقَّنَ الاسْتِصْلَاحَ، وَيَكْتِمُ السِّرَّ وَالمَالَ مِنْهُمْ.

هَذَا كُلُّهُ فِي الصَّدِيقِ الغَيْرِ الحَقِيقِيِّ، وَأَمَّا الحَقِيقِيُّ فَيَسْقُطُ مَعَهُ التَّكَلُّفُ فَإِنَّهُ نَفْسُهُ.

وَالأَعْدَاءُ: يَعْفُو عَنْهُمْ، وَيُدَارِيهِمْ، وَيَشْكُوهُمْ إِلَى الرُّؤَسَاءِ لِيَعْرِفُوا عَدَاوَتَهُمْ وَلَا يَقْبَلُونَ قَوْلَهُمْ، وَيَتَجَسَّسُ عَنْ

عَزَائِمِهْم وَمَعَايِبِهِمْ وَيُخْفِيهَا، وَيُلَازِمُ الصِّدْقَ وَالعَدْلَ، وَيُخَالِطُ خُلَطَاءَهُمْ لَا كَالسَّبْقِ عَلَيْهِمْ فِي الفَضِيلَةِ، وَأَمَّا الطَّعْنُ وَالشَّمَاتَةُ وَالشَّتْمُ فَحَاشَى.

وَإِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ لَا يَخُونُهُ، وَيَدْفَعُ ضَرَرَهُمْ بِالاسْتِصْلَاحِ ثُمَّ الاجْتِنَابِ ثُمَّ القَهْرِ بِلَا ظُلْمٍ وَلَا رَذِيلَةٍ.

وَالمَعَارِفُ، فَيَجِبُ الرِّفْدُ، وَحُسْنُ المَحْضَرِ مَعَ الكُلِّ، وَالتَّكَبُّرُ مَعَ المُتَكَبِّرِ، وَإِكْرَامُ النُّصَحَاءِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ، وَالاسْتِفَادَةُ مِنَ الفُضَلَاءِ، وَمُسَاعَدَتُهُمْ بِالمَالِ وَالخِدْمَةِ لَهُمْ، وَتَهْذِيبُ أَخْلَاقِ المُتَعَلِّمِينَ وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ إِلَّا إِذَا أَلَحَّ أَوْ طَمِعَ غَيْرَ مُحْتَاجٍ، وَرَحْمَةُ الضُّعَفَاءِ وَالإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ مَا أَمْكَنَ، وَلُزُومُ العَادَاتِ مِنَ التَّعَازِي وَالتَّهَانِي وَالعِيَادَاتِ، وَإِظْهَارُ الفَرَحِ لِفَرَحِهِمْ وَالغَمِّ لِغَمِّهِمْ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ إِلَى حَدِّ النِّفَاقِ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُجَنِّبَنَا عَنِ النِّفَاقِ، وَيُشَرِّفَنَا بِحُسْنِ الأَخْلَاقِ، بِالرَّسُولِ المُنَوَّرِ بِنُورِ شَرِيعَةِ الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا تُلِيَتْ آيَةُ الأَخْلَاقِ.

تمت

دار الإمام ابن عرفة
تونس